بنجامين باربْر

يعتبر بنجامين باربر من المنظرين السياسيين المعروفين على المستوى العالمي. وله سبعة عشر كتاباً، أهمها: الجهاد في مقابل عالم المكدونلدز (بالنتاين بوكس، 1995)، وكتاب حقيقة السلطة (نورتون، 2001)، وكتاب إمبراطورية الخوف: الحرب، الإرهاب، والديمقراطية (نورتون، 2003). وهو يعكف الآن على تأليف كتاب عنوانه انحسار الرأسمالية والنزعة الطفولية.

ست جالي: هل لك أن تحدثنا عن إستراتيجية بوش في الحرب الوقائية كرد على هجمات 11 سبتمبر، هل تعتقد أن هذه الإستراتيجية ستجعل من الولايات المتحدة أكثر أمناً كما هو مؤمل منها؟

على الرغم من أن الولايات المتحدة مارست التدخل الخارجي من وقت لآخر على مدى القرنين الماضيين دون أن تتعرض لهجوم عدواني عليها، إلا أنها بقيت تتصرف ضمن النظرية التي تقول بأن حق الدولة في إعلان الحرب محصور في الدفاع عن النفس أو في حالة وجود خطر محدق. كما لو كانت الجيوش الأجنبية تحتشد على الحدود أو أن طائرات حربية متجهة في طريقها لضرب المدن الرئيسة، فإن الدولة في هذه الحالات تملك حق إعلان الحرب. وفيما عدا ذلك، لا تملك أي دولة الحق بإعلان الحرب دون أن تكون قد تعرضت لهجوم مباشر. وهذا المبدأ نصت عليه المادة 51 من ميثاق هيئة الأمم المتحدة الذي صادقت عليه الولايات المتحدة. وهذه المادة تقول بما معناه بأن الحق الوحيد لأي دولة في إعلان الحرب على دولة أخرى هو في حالة الدفاع عن النفس فقط.

obeikandl.com

وما حدث في 11 سبتمبر هو أن الرئيس وإدارته قرروا أنه وبالنظر إلى تغيّر طبيعة السلاح، وطبيعة الإرهاب، وبالنظر إلى أن الاعتداء لم تقم به دولة محددة بل أفراد – وأنا أفضل تسميتهم بالمنظمات غير الحكومية الشريرة-(*) وبالنظر إلى خطورة هذه الحالة، فإنه لا يمكنهم الوقوف مكتوفي الأيدي بانتظار حصولهم على دليل يكون على شكل سحب نووية فوق المدن الأمريكية لإثبات أن أمريكا تتعرض لهجوم من أعدائها. واعتماداً على ذلك، تصرفوا وفق المذهب الذي أعلنت عنه كونداليزا رايس عقب 11 سبتمبر، وهو مذهب الحرب الوقائية الجديد. ويقضي هذا المذهب بأن الولايات المتحدة الآن تملك الحق في إعلان الحرب وفق مشيئتها على أي دولة أو مجتمع تختاره وتحدده بناءً على تهديد متصور لديها، وبإمكانها أن تفعل ذلك تجنباً لوقوع هجوم محتمل عليها.

وقد يبدو هذا المبدأ معقولاً بالنظر إلى طبيعة الإرهاب وطبيعة الأسلحة الجديدة. إلا أنه في حقيقة الأمر يضع الولايات المتحدة -ولأول مرة في تاريخها- خارج نطاق القانون الدولي، وفي مخالفة مباشرة للمادة (51) من ميثاق هيئة الأمم المتحدة. وكأن هذا المذهب يقول بأن الولايات المتحدة تستطيع أن تعلن الحرب في أي وقت، وفي أي مكان بحسب اختيارها، وضد أعداء تحددهم هي وفقاً لقناعتها الخاصة عن هذه التهديدات. وهذا القول يشكل خطراً كبيراً على القانون الدولي، ويخلق سابقة لا يمكن للولايات المتحدة أن تتحمل نتائجها. ويمكنك أن تتصور لو أن الهند وباكستان قالتا،"سوف نقرر متى يكون الطرف الآخر عدواً لنا". وتصور لو أن الصين طبقت هذا المبدأ و قالت بأن تايوان تشكل خطراً عليها. وتصور أن تقول كوريا الجنوبية بأن كوريا الشمالية تشكل تهديداً عليها والعكس بالعكس. فلو تبنت الدول الأخرى إستراتيجية الحرب الوقائية فإننا سنكون أمام عالم يعيش حالة متواصلة من الحروب والفوضى و غياب القانون.

(*) في مقابل المنظمات غير الحكومية الخيرية NGO.

ست جالي: قد يقول قائل مجادلاً بأن 11 سبتمبر أثبت لنا أن هذا العالم هو حقاً عالم يعيش حالة متواصلة من الحروب وأن الفوضى وغياب القانون ماثلة أمامنا، وأننا بحاجة إلى أن نتصرف بحزم من أجل تجنب تكرار تعرضنا لهجمات مماثلة لتلك التي وقعت في 11 سبتمبر. هل يمكن لهذه الإستراتيجية الوقائية أن تكون مجدية في مكافحة الإرهاب؟

ينتاب الناقدين قلق من أن الحرب الوقائية هي عمل غير مشروع، وأن من شأنها أن تخرج الولايات المتحدة خارج نطاق القانون الدولي، وأن الحرب الوقائية ليست فقط عملاً غير مشروع، بل هي عمل غير أخلاقي. إلا أن السؤال الذي يجب أن يطرح في عصر الإرهاب هو: هل ستنجح هذه الحرب الوقائية أم لا؟ ويمكنني القول بأن العيب الجوهري في الحرب الوقائية كأداة من أدوات الحرب على الإرهاب هو أنها غير مجدية، وليس لأنها غير قانونية- مع أن عدم الشرعية أمر فظيع- والمشكلة التي تعاني منها هذه الحكومة، ليس فقط في العراق، بل في أفغانستان أيضاً، هو دليل حي على فشل إستراتيجية الحرب الوقائية كإستراتيجية مضادة للإرهاب.

لو كانت حكومة أفغانستان تحضّر لاستخدام أسلحة دمار شامل ضد الولايات المتحدة، أو لو كانت حكومة صدام حسين تستعد لاستخدام أسلحة دمار شامل ضد الولايات المتحدة، لأمكن القول بأن قيام الولايات المتحدة بتوجيه ضربة وقائية قبل أن تتعرض للهجوم هو عمل يمكن تسويغه. إلا أن المشكلة تتمثل في أن هدف الإجراءات المضادة للإرهاب هي الإرهاب والمنظمات الإرهابية. وكما ذكر دونالد رمسفيلد بعد وقوع هجمات 11 سبتمبر مباشرة، أن المشكلة التي تواجهها أمريكا هي أن أعداءنا ليسوا دولاً؛ ليس لديهم قادة، ولا يوجد لديهم عنوان يمكن إرسال القوات المسلحة إليه. ليس لديهم أهداف تقليدية يمكن

ضربها. وبهذا المعنى فإن أعداءنا غير مرئيين، إنهم منظمات غير حكومية خبيثة، ولدى أفرادها استعداد للتضحية بأنفسهم في سبيل تحقيق أهدافهم. والقاعدة هي منظمة غير حكومية، والقضاء على أفغانستان لا يؤدي إلى القضاء على القاعدة. بل على العكس. والتشبيه الذي يستخدم أحياناً للإرهابيين هو أنهم كالخلايا السرطانية في الجسم السياسي المصاب بفقدان المناعة. ومن الطرق المتطرفة للتعامل مع المريض المصاب بالسرطان هو أن تقتل المريض لكي تموت معه الخلايا السرطانية. إلا أن الإرهابيين هم أشبه بالكائنات الطفيلية منهم بالسرطان، وعندما تقتل الجسم المعيل الذي تتغذى عليه هذه الكائنات الطفيلية فإنك لا تقضي عليها لأنها ستنتقل إلى جسم آخر. لقد أجهزنا على طالبان، ولكن القاعدة ما زالت حية، وما يزال أسامة بن لادن يتحرك بحرية، وما زال الملا عمر حراً طليقاً. وحتى لو ألقينا القبض على عناصر القاعدة، فإن أعوانهم سينتشرون في مناطق جنوب شرق آسيا وأجزاء أخرى من العالم. وبإمكانك أن تقول بأن أفغانستان باتت الآن خالية من الإرهابيين، إلا أن الجبال بين أفغانستان وباكستان مليئة بالإرهابيين. هناك إرهابيون الآن في إندونيسيا، وفي الفلبين، وفي كينيا، وطبعاً مرة أخرى، في نيو جيرسي، وفلوريدا. إن بإمكان الإرهابيين أن يتحركوا ويتنقلوا أينما شاءوا تماماً كما تتحرك المنظمات غير الحكومية الخيرية.

لذلك فإن استهداف الدول والقضاء على أنظمة الحكم فيها، وحتى تلك الدول التي ترعى وتدعم الإرهاب، ونحن نعلم أن هناك أدلة ضعيفة تدل على أن نظام صدام حسين كان فعلاً يدعم الإرهاب- ولكن لنفترض أن هناك دليل على ذلك، فإن الإطاحة بصدام حسين لم يكن له أي أثر في القضاء على الإرهاب. وكل الأدلة المتوفرة لدينا تشير إلى أن الإرهاب قد تزايد بعد احتلال العراق. وأصبح هذا الاحتلال يشكل أفضل أدوات تعبئة وتجنيد الإرهابيين. بل والأدهى

من ذلك أن العراق قد بات اليوم مقصداً للإرهابيين من حول العالم الذين يتوافدون إليه من أجل قتل الأمريكان. وعليه فإن المشكلة في إستراتيجية الحرب الوقائية هي أنها لا تستهدف الإرهابيين أنفسهم بل الدول التي ترتبط معهم بروابط يمكن وصفها في أقوى الحالات بروابط واهنة. وحتى لو كان هناك ارتباط وثيق بين تلك الدول والجماعات الإرهابية، فإن القضاء على تلك الدول لا يضمن القضاء على الإرهابيين.

إضافة إلى ذلك، فقد طبقنا هذه الإستراتيجية على نحو انفرادي، قمنا بذلك بأنفسنا وبطريقة أثرت على التعاون الدولي والسياسات متعددة الأطراف التي تجعل من التعاون في أعمال الشرطة والاستخبارات أمراً ممكناً. لقد كان مثل هذا التعاون بين الدول في مجالات الاستخبارات والبوليس والإنتربول والأجهزة القضائية هو الذي حققنا عن طريقه بعض النجاح في مجال إلقاء القبض على الإرهابيين وتعقبهم. إلا أن الاستراتيجيات الانفرادية في الحرب على أفغانستان والعراق بإمكانها أن تعوق التعاون الجماعي بين الدول في هذا المجال بدلاً من أن تزيد من احتمالات نجاحه. وقبل بدء العمليات العسكرية في العراق، كان هناك تعاون قائم في مجالات الاستخبارات مع سوريا وليبيا والسودان وإيران. ولكن وبعد بدء الحرب تقلص هذا التعاون إلى حد كبير. ونتيجة لهذه الحرب خسرنا ثمرة هذا التعاون الدولي الجماعي الذي يتمخض عنه في العادة معلومات استخبارية جيدة.

ست جالي: تحدثت وكتب الكثير عن الطرق والوسائل التي تشعر أنها أجدى نفعاً في الوقاية من تعرضنا لهجمات مماثلة لما حدث في 11 سبتمبر. وتحدثت عن مبدأ "الردع" القديم، وعن شيء آخر أسميته "الديمقراطية الوقائية". وقابلت خطاب الحكومة حول "محور الشر" بمطالبتك بأن نوجه اهتمامنا نحو "محور عدم المساواة". هل لك أن

تسلط مزيداً من الضوء على هذه المفاهيم، وتحديداً لماذا تعتقد أن ما تقترحه سيكون أجدى وأنجع من الناحية الواقعية والعملية من السياسات المتبعة الآن؟

إن مما يدهشني أن الرئيس بوش قال بعد 11 سبتمبر بأنه لا يمكننا أن نسمح للإرهابيين أن يوجهوا لنا الضربة الأولى؛ وأنه يتحتم علينا أن نبادر بهجوم استباقي وقائي على الدول التي ترعى وتدعم الإرهابيين لكي نمنع وقوع مزيد من الهجمات، في حين أن السياسة المعلنة للولايات المتحدة وعلى مدى أكثر من أربعين عاماً كانت تقبل باحتمال أن يبدأ الاتحاد السوفييتي بتوجيه ضربة نووية على المدن الأمريكية قبل أن ترد بهجوم من عندها على الاتحاد السوفييتي. بمعنى آخر أننا آثرنا التضحية بخمسين إلى ستين مليون نسمة من السكان في المدن الرئيسية الأمريكية على مخالفة المبدأ القانوني القاضي بقصر استخدام القوة في حالة الدفاع النفس. وكانت تلك سياسة الديمقراطيين والجمهوريين منذ بداية الحرب الباردة وحتى نهايتها. ومع ذلك، يقول الرئيس بوش بأنه يجب التخلي عن إستراتيجية الردع التي نجحت ضد الاتحاد السوفييتي بسبب حادث إرهابي واحد في اثنتين من المدن الأمريكية. وما من شك أن ما حدث يشكل فاجعة كبيرة وتعدياً فظيعاً بالنسبة للمدن التي وقع فيها وعلى الأفراد الذين أصيبوا بهذا الحادث الجلل. إلا أننا إذا نظرنا إليه من ناحية تاريخية، ومن منظور القوة الأمريكية وموقعها في المسرح الدولي، فإن ما حدث سيبدو كلسعة النحلة في جسم الدب الأشيب؛ لم تكن تلك الهجمات تشكل خطراً حقيقياً على البلاد.

الإرهاب له سلاح وحيد هو الخوف. والهدف من سلاح الخوف هو ترويع الناس. ولم تُحدث الهجمات سوى أضرار محدودة. إلا أن الخوف الذي أعقبها، والذي لعبت هذه الحكومة دوراً في ترويجه وتضخيمه في محاولتها الدفاع عن

البلاد ضد الإرهاب، كان له أثر أكبر من الهجمات نفسها. وإذا كنا نريد أن نواجه الإرهاب، فإن السبيل الأفضل لذلك لا يكون بالتأكيد على أننا الطرف الذي سيقوم بتوجيه الضربة الأولى في كل مكان يمكن أن يكون فيه تجمع للإرهابيين، بل بالقضاء على سلاحهم الوحيد وهو الخوف. والقضاء على سلاح الخوف يكون بأن لا نسمح للخوف والذعر بالاستحواذ على أنفسنا.

عندما استخدم الرئيس شعار "الصدمة والترويع" في وصف بداية القصف الجوي على العراق فإنه قد أوقع نفسه في لعبة الإرهابيين لمحاولته مواجهة الخوف بالخوف. والإرهاب بالإرهاب. ولسان حاله يقول إذا كانوا يعتقدون أنهم سيرعبوننا فانتظر حتى نريهم كيف سنرعبهم. وأتخيل أن الرئيس عندما استخدم عبارة الصدمة والترويع، كان أسامة بن لادن الذي يقبع في الجبال الواقعة بن حدود أفغانستان وباكستان، يقول "اللعنة، ليتني فكرت باستخدام ذلك الشعار: إنها العبارة الصائبة: الصدمة والترويع. وهو ما أريد أن أفعله بالولايات المتحدة". وهو الشيء ذاته الذي تحاول الولايات المتحدة أن ترد به.

التخويف والإرهاب هي وسائل الإرهابيين ومرتعهم. أما أمريكا فمرتعها الديمقراطية، والمجتمع المنفتح، والتعددية؛ والتصميم على عدم الرضوخ تحت تأثير الخوف، وعدم التنازل عن حرياتها تحت تأثير الخوف، وعدم التخلي عن تعدديتها الثقافية تحت تأثير الخوف. والخطر الأكبر الذي يهددنا منذ 11 سبتمبر لم يكن الهجمات نفسها، بل الضرر الذي ألحقناه بأنفسنا بالطريقة التي نحاول أن "نحمي" بها أنفسنا من الإرهاب. وهنا يوجد لدي إستراتيجية بديلة أطلق عليها الديمقراطية الوقائية، بدلاً عن الحرب الوقائية. إنها التزام بالديمقراطية داخل الولايات المتحدة، مما يعني ألا نسمح لأنفسنا بالتخلي عن حرياتنا، وعن سياسات الهجرة المفتوحة، وأن نمنع التصنيف النمطي للمواطنين. يجب أن لا نسمح للخوف أن يمنعنا من السفر، أو أن يدفعنا إلى التراجع

الاقتصادي. وبدلاً من ذلك علينا أن نركز على التفاعل المدني المتواصل والمستمر. وأن نبقى مجتمعاً ديمقراطياً مفتوحاً، متعدد الثقافات. وهذا يعني التصدي لما يناقض هذا التوجه كقانون الوطني، وقانون الوعي المعلوماتي الكامل، ومحاولات تقييد قوانين الهجرة التي وضعت حواجز تحول دون دخول أصدقاء أمريكا إلى البلاد. كما يتوجب علينا دعم الديمقراطية حول العالم. وإلى جانب محور الشر- وأنا هنا أتفق مع الرئيس بوش أن بإمكاننا التحدث عن محور الشر- فإنك تجد محوراً أقل بروزاً هو محور عدم المساواة، محور البؤس، محور القنوط، إنه المحور الذي يعيش فيه الملايين من البشر على هامش الحضارة الغربية ورخائها الاقتصادي. وكن على يقين من أن الأب الذي يحتفل باستشهاد ابنه ذي الستة عشر ربيعاً والذي ربط قنبلة انتحارية حول خصره، أن هذه الأب هو أب ليس لديه أمل بالمستقبل؛ إنه أب لم يعد يؤمن بأي فرص لأبنائه. إن هذه الظاهرة تشير إلى مجتمع هو في أمس الحاجة إلى التغيير والإصلاح، ومثل هذه الأماكن هي التي ينبغي أن نوجه نحوها جهودنا.

لو أراد بوش أن يعبر عن تفهمه للديمقراطية، في اليوم الذي سقطت فيه بغداد، لما قام بنشر المدرعات حول وزارة الطاقة، والمصانع الثقيلة، وأنابيب النفط، أو وزارة الدفاع. ولأمر بدلاً من ذلك بنشر الدبابات والمدرعات أمام كل مدرسة، وكل مكتبة، وكل متحف في بغداد لكي يقول " إن مستقبل الديمقراطية هو هاهنا، إن مستقبل هذا البلد يعتمد على التعليم". ولكنه لم يفعل ذلك. وعلى الرغم من أن الرئيس يتحدث عن الديمقراطية، إلا أن الديمقراطية الوقائية لا تعكس سياسة الحكومة. وعليه فإذا كنا نتطلع إلى بديل عن الحرب الوقائية، فيجب علينا معاينة الديمقراطية الوقائية بعناية، واستيعاب معانيها ليس فقط في العراق وأفغانستان، بل حول العالم، وحول العالم الإسلامي، وأيضا هنا في الولايات المتحدة، التي يحتل التعليم فيها موقعاً ثانوياً بينما تحظى السجون

بالاهتمام الأكبر. وفي العام الماضي اضطرت المدارس الحكومية في ولاية أوريغون إلى إغلاق أبوابها قبل ثلاثة أسابيع من انتهاء العام الدراسي لعدم وجود مخصصات كافية للتعليم الحكومي. وما زلنا في الولايات المتحدة نضيق الخناق على دعم التعليم، الأمر الذي يترك أثراً مدمراً على مستقبل الولايات المتحدة كالأثر الذي يتركه الافتقار إلى المدارس على الديمقراطية في بقية دول العالم

ست جالي: هل لك أن تلقي المزيد من الضوء على عامل الخوف، وعلى ما ذكرته من أن هذه الحكومة تواجه الخوف بالخوف؟

إن سياسات الخوف التي تطبقها هذه الحكومة في محاولتها للتصدي للإرهاب هي بحد ذاتها أخطر من الإرهاب نفسه. وهذه الحكومة مسئولة مسؤولية شخصية، وإن كانت غير قاصدة، عن التحريض على الإرهاب والذي كان يسعى الإرهابيون إلى التحريض عليه في أمريكا. أنظر إلى نظام الإنذار ذي الألوان المتدرجة- أصفر، برتقالي، أحمر، أعلى وأسفل. لقد قامت الحكومة بإصدار تحذيرات مجهولة - وربما لحماية نفسها من تهمة عدم إعطاء تحذيرات مناسبة وكافية- تقول: في مكان ما، في الأسبوع القادم أو الذي يليه، سيقع هجوم في إحدى مراكز التسوق، أو ربما سيقع الهجوم على جسر، أو ربما مدرسة؛ ولكن كونوا على حذر. إن مثل هذه التحذيرات تخدم أهداف الإرهابيين في بث الذعر والخوف. لقد ذكر رمسفيلد، ذات مرة، أنه لو خير بين الإقناع من جهة وبين المسدس من جهة أخرى، لفضل الإقناع المصحوب بالمسدس على الإقناع وحده، كما كان يفعل آل كابون. وهذا النمط من التفكير يشكل خطراً على أمريكا.

والجانب المقابل لسياسة الخوف هو سياسة التفاعل. ودعني أقول للأمريكان الذين يقولون "إن الحكومة تقوم بواجبها على الوجه الأكمل في تحذيرنا وإبقائنا متيقظين تحسباً لأي هجوم إرهابي". إن خطر الإرهاب هو

خطر حقيقي ولا يمكنك التظاهر بأنه ليس كذلك. والعلاج الناجع للخوف هو التفاعل، والمواطنة، والنشاط. أنظر ما يحدث عندما تمر بحادث سير؛ فلو وقفت متفرجاً فسوف تشعر بالإعياء من مشهد الجرحى وأنين المصابين. وسيزداد شعورك بالخوف من الحوادث. أما لو شمرت عن ذراعك وحاولت إنقاذ المصابين وإسعافهم بإخراجهم من بين الحطام أو بإجراء عملية تنفس اصطناعي أو بأخذهم إلى المستشفى، فإنك ستشعر بشيء مختلف تماماً.

وأعتقد أن أقل الناس شعوراً بالخوف يوم 12 سبتمبر هم الذين كانوا يعملون في مكان الحادث. ومع أنهم كانوا أكثر الناس عرضة للخطر، إلا أنهم كانوا منهمكين في عمليات الإنقاذ- رجال الإطفاء، وفرق الإسعاف الطبي، وأفراد الشرطة الذين كانوا يعملون ليل نهار في البحث عن الضحايا وبقايا الأشلاء وإزالة الركام. كانوا يقومون بمهمة مدنية، وكانوا منهمكين وغير خائفين من أي شيء. وجاء أفراد الشعب الأمريكي إلى الرئيس وقالوا له "ما المطلوب منا أن نفعل لكي نتحمل بعضاً من هذه المسؤولية؟" ومع الأسف كان رد الرئيس بوش:"اذهبوا للتسوق. عودوا إلى مراكز التسوق. عودوا إلى حياتكم الطبيعية. وسوف نتولى هذا الأمر عنكم". إن البقاء في وضع المتفرج هو دعوة إلى الخوف. أما المواطنة الحقيقية فهي التحرك لمواجهة سياسات الخوف. إن سياسات المواطنة، وسياسات التفاعل، وتحمل المسؤولية هي أسلوب أفضل في التعامل مع الإرهاب من القعود والوقوف بين صفوف المتفرجين والسماح للحكومة بسلب حرياتنا وتعدديتنا الثقافية باسم توفير الحماية لنا.

ست جالي: أنت تتحدث عن مفهوم لأمريكا يختلف عن المفهوم الذي تعنيه إدارة بوش. وقد ذكرت في كتابك الأخير حول التعارض بين خطاب بوش الإنجيلي المانوي من جانب، والخطاب البراغماتي المتجذر

obeikandl.com

في العقلية الأمريكية كما نجده لدى ويليام جيمس(*) وملفيل(*) وغيرهم من ذوي الإحساس البراغماتي متعدد الاحتمالات والتفسيرات، مقابل التفكير بمنطق الأبيض والأسود، والخير والشر. هل لك أن توضح لنا هذين التيارين المتعارضين في أمريكا؟

يلجأ الأمريكيون إلى الاحتكام إلى أمريكا في دفاعهم عن أيديولوجيتهم أو مواقفهم، ولهذا ليس من المستغرب أن يتحدث بوش وأعوانه عن نوع محدد من أمريكا للدفاع عن سياساتهم. وأعتقد أنهم مخطئون في فهم أمريكا. ولست على استعداد للإذعان لرغبتهم في امتلاك أمريكا، أو الرضوخ للفكرة القائلة بأن عدم الاتفاق مع وجهة نظرهم يعني أنني معاد لأمريكا. إنهم يتحدثون عن أمريكا التي ترى أنها أفضل في أخلاقها ومثلها من بقية دول العالم. إنهم يتحدثون عن أمريكا التي يمتطي قادتها الخيول البيضاء وعلى جانبهم مسدساتهم لملاحقة الأشرار والخارجين على القانون والقضاء عليهم. إنهم يتحدثون عن أمريكا المحددة تحديداً ضيقاً وليس أمريكا ذات المفهوم الواسع. أمريكا المحددة بالسيادة والاستقلال، وليس أمريكا التي تشكل جزءاً من المجتمع الدولي وتتفاعل معه. ولكن هناك أمريكا أخرى. أمريكا التي نجدها في توماس جفرسون(*)، وفي أبراهام لنكن(*). وفي والت

(*) ويليام جيمس (11 يناير، 1842 - 26 أغسطس، 1910) فيلسوف وعالم نفس أمريكي وأستاذ في جامعة هارفارد. أشهر أعماله مبادئ السيكولوجية (1890) وكتاب أنواع التجارب الدينية (1902)، وكتاب البراغماتية (1907). عمل على تطوير المذهب البراغماتي.

(*) لعل المقصود هنا هيرسكوفيتس ميلفل عالم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) الأمريكي الذي يعتبر أول من فتح الباب أمام دراسة العالم الجديد للزنوج. وكان يغلب على نقده الثقافي سمة الأدب الإنساني والنسبية.

(*) توماس جفرسون -86 الرئيس الثالث للولايات المتحدة وأحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، وواضع إعلان الاستقلال الأمريكي عن بريطانيا.

(*) أبراهام لنكن (Abraham Lincoln) 1809 1865 الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة، وقعت في عهده الحرب الأهلية التي انتصرت فيها قواته على تحالف الولايات الجنوبية في معركة =

ويتمان(*)، وفي إمرسون(*). وفي لانغستن هيوز(*). وتوني موريسون(*). إنها أمريكا متعددة الثقافات. إنها أمريكا المحددة باستيعابها التعددية والتنوع الموجود في العالم وليس بعزلتها عن العالم. إنها أمريكا التي تشكل جزءاً من العالم. إنها أمريكا التي تزدهر بازدهار العالم. وأمريكا هذه التي أتحدث عنها هي باعتقادي أمريكا قوية، بل هي أقوى من أمريكا التي يتصورها بوش ويريد منا أن نعتقد أنها هذه هي أمريكا التي ننتمي إليها.

ست جالي: كتبت أيضاً حول الانقسام في مؤسسة السياسية الخارجية، وفي داخل الحكومة نفسها، بين الصقور والحمائم، وحاولت أن تضع هذه المصطلحات في إطار مختلف. كيف فعلت ذلك، ولماذا؟

لقد اعتدنا أن نطلق وصف الصقور على الساسة الواقعيين المؤيدين للحرب، أما الساسة المثاليون المؤيدون للسلام فنطلق عليهم وصف الحمائم. وعندي شك في أن هذه هي الطريقة المثلى للتحدث عن الانقسام في واشنطن وفي هذا البلد عموماً. وأرى أن الانقسام هو بين "النسور" والأبوام(*). واسمح لي أن أوضح هذه العبارات. فكلا الطرفين يدرك الحاجة إلى الحرب. وكلاهما من الطيور الجارحة لا المسالمة الأليفة؛ إلا أن النسور يعتقدون بأننا نملك الحق في توجيه

= غيتيسبيرغ عام 1863 وكان من نتائجها حظر الرق في الولايات المتحدة، وإخضاع الولايات الجنوبية التي كانت تهدد بالانفصال. (ومن الأخطاء الشائعة لفظ الاسم الأخير لنكولن بدلاً من لنكن لأن اللام الثانية في اسمه الأخير لا تلفظ.

(*) شاعر وأديب وصحافي أمريكي (1819–1892) له ديوان شعر بعنوان (أوراق العشب) ويعد من أبرز الأعمال الأدبية الأمريكية.

(*) رالف والدو إمرسون (1803–82) شاعر وأديب أمريكي. وله رواية بعنوان الاعتماد على الذات.

(*) كاتب وأديب أمريكي من أصل إفريقي ويشتهر بكتاباته حول تجربة الأفارقة في أمريكا.

(*) كاتبة أمريكية (1931–)تركزت أعمالها على المجتمع الإفريقي في أمريكا وعلاقة الفرد بالمجتمع. حصلت عام 1993 على جائزة نوبل في الآداب. كما حصلت أعمالها الأبية على جوائز أخرى.

(*) أبوام جمع للبومة أو البوم، طائر معروف. وهو رمز للشؤم في الثقافة العربية، بينما يرمز للحكمة في الثقافة الغربية لبعد نظره واتساع عينية.

الضربة الآن، وقائياً، واستباقياً، وانفرادياً، وفورياً. فهم عدوانيون في سياستهم الانفرادية، وفي دخيلة أنفسهم يظنون أنهم مثاليون لأنهم ما زالوا يعتقدون بأن الولايات المتحدة تعيش في القرن التاسع عشر، وأن باستطاعتها أن ترسل جيوشها بإرادتها المنفردة كقوة ذات سيادة لتدمير أعدائها في أي مكان في العالم. وفي المقابل، لدينا الأبوام، والبوم طائر جارح ولكنه أكثر حنكة. فهو يظهر في الليل بعد زوال النهار، ولديه نظرة بعيدة للأشياء، وأعتقد أنهم يدركون أن النسور مثاليون في حلمهم بالعودة إلى العالم القديم الذي يتصارع فيها الرجال الأشداء في معركة مفتوحة. رجل مقابل رجل، كما يحدث في فيلم "هاي نون" حيث يقوم بطل الكاوبوي "غاري كوبر" بالقضاء على الأشرار واحداً تلو الآخر في الشارع الرئيسي للبلدة، وهو الدور الذي يتقمصه جورج بوش، في حين يتقمص دور الأشرار كل من الملا عمر، وأسامة بن لادن، وصدام حسين.

إلا أن الواقع هو أن القوة العسكرية التي تحركها الأمم التي تملك جيوشاً جرارة وقوات جوية هائلة هي قوة غير متماثلة أمام الإرهاب. فالحروب الحديثة هي حروب غير متكافئة، وقد شاهدنا هذا في العراق. لم يكن هناك قوات عراقية قادرة على مواجهة قوة الهجوم العسكري الكاسح للولايات المتحدة: سلاح الجو، الجيش، قوات البحرية. واستطاعت الولايات المتحدة أن تجتاح البلاد في بضعة أيام والقضاء على الجيش العراقي. إلا أنهم الآن وجدوا أنفسهم في مواجهة حرب العصابات والإرهابيين الذين يخرجون في الليل، والقناصة الذين يطلقون النار تحت جنح الظلام، والأشخاص الذين يزرعون الألغام على جانبي الطريق. ولا تملك الولايات المتحدة رداً عسكرياً متماثلاً ومتكافئاً مع مثل هذه الهجمات.

والمشكلة الأخرى للرد العسكري البحت على الإرهاب، وحتى حين يكون هذا الرد متماثلاً- مع أنني أعتقد أن الرد لا يمكن أن يكون متماثلاً لأن قوى المعادلة

في مثل هذا الصراع هي أصلاً غير متماثلة – هو أن جزءاً من الحرب التي نخوضها ليست حرباً عسكرية، ولا حتى حرباً اقتصادية، بل حرباً ثقافية. وأعتقد أننا لا ندرك أن كثيراً من الناس الذين يؤيدون الإرهاب، أو الذين يتغاضون عنه أو الذين يبتهجون عندما تتعرض أمريكا للأذى، كثير من هؤلاء الناس لا يخشون الاحتلال الأمريكي، ولا يخشون الهيمنة الاقتصادية الأمريكية بقدر خشيتهم وقلقهم من الآثار الثقافية "للأمركة"، الآثار الثقافية لنشر هذه الثقافة العدوانية العلمانية المادية. والمشكلة التي تواجهها الولايات المتحدة هي بوجود هذا العنصر الثقافي القوي في خوف الناس منها.

وتشعر الشعوب في العالم الإسلامي بالاستياء والغضب مما يعتبرونه ثقافة عدوانية علمانية مادية تهدد بهدم قيمهم الدينية وإفساد تقاليدهم وتراثهم الثقافي الغالي على نفوسهم. أنظر إلى الأم في دمشق، الأم في طهران، أو سري لانكا، أو في باكستان. إنها تخشى على أولادها من شيئين. الأول هو أن أبناءها لن تتوفر أمامهم الفرصة للاستمتاع بالازدهار الاقتصادي ومزايا وفرص العولمة والتجارة العالمية والسوق العالمي كما هو متوفر لأبناء الغرب. وثاني هذه المخاوف هو أن أبناءها سينجذبون نحو هذه الأسواق ويتأثرون بها، وهو ما سيفسدهم ويفقدهم دينهم وقيمهم. إننا نمثل في نظرهم عالم الماكدونلدز، وإم تي في، وشيكاغو بولز، والتلفاز، وديزني لاند، ونايكي، وكل هذه المزايا الرائعة لمراكز التسوّق الفعلية والافتراضية التي تحدد الطريقة الأمريكية في التسوق والاستهلاك واحتمالات الرخاء. وهذا يشكل بالنسبة لكثير من الناس حول العالم تهديداً للثقافات المحلية، وتهديداً للتعددية والتنوع في مجتمعاتهم، والأهم من ذلك كله، تهديداً للمعتقدات الدينية. يجب علينا أن نفهم ذلك. وحتى هنا في الولايات المتحدة، هناك أعداد كبيرة من الأصوليين البروتستانت الذين يمتنعون عن إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية لأنهم يخشون من تعرض أبنائهم

للثقافة العامة. وهي ثقافة هولي وود(*)، وثقافة ماديسون آفينيو(*). وهذا ينطبق على كثير منا كذلك. قليلون منا من يسمح لأبنائه بمشاهدة كل ما تعرضه شاشة التلفاز على مدى 24 ساعة. قلة منا من يسمح لأبنائه باستعراض كل ما هو موجود على الإنترنت. هذا هو الحد من الغلو المتزايد الذي وصلت إليه ثقافتنا من المادية العدوانية والربحية والإباحية. وهذا يشكل تهديداً أكبر لشعوب العالم الثالث من تهديد جيوشنا ومن تهديد دولارنا أو تجارتنا العالمية.

وقد أطلقت على هذه الظاهرة ماك ورلد (عالم الماكدونلدز)؛ إنها الجهاد مقابل عالم الماك. التهديد من انتشار عالم الماك هو الذي يضعضع قوتهم الثقافية، ويقوض وحدة دينهم ويفسد قيمهم. وقد يكون هذا أكبر مشكلة تواجهنا على المدى البعيد في محاولتنا نشر الديمقراطية في العالم، لأنه لو اعتقد الناس أن الديمقراطية تعني ماكدونلدز، وديزني لاند، وليس حق الشعوب في حكم نفسها بطريقتهم الخاصة وبما يتناسب مع قيمهم، فإنهم سينظرون إلى الديمقراطية باعتبارها جزءاً من المشكلة لا جزءاً من الحل. والأمر يعود إلينا في أن نفصل الديمقراطية عن عالم الماك، وأن نعزل الديمقراطية عن مراكز التسوق الكبيرة وعن الخصخصة، وأن نساعد الناس في فهم أن الديمقراطية هي حق الشعوب في اعتناق قيمهم وثقافتهم وأنها لا تعني تقليد القيم والثقافة الأمريكية.

ست جالي: على الرغم من هذا الانتشار التجاري العالمي، أو ربما من خلاله، ذكرت في كتابك أنك تجد مصدراً للأمل في هذا كله- تيار معاكس يتمثل في هذا الترابط الذي مهّد لحدوث ما شاهدناه مؤخراً

(*) مركز صناعة السينما الأمريكية، وهو اسم المقاطعة الشمالية الغربية من مدينة لوس أنجلوس في ولاية كاليفورنيا.

(*) كناية عن مركز صناعة الدعاية الأمريكية، والتسمية مأخوذة عن اسم الشارع الموجود في مدينة نيويورك والذي كان يضم كبرى شركات الدعاية والإعلان الأمريكية.

من مظاهرات عالمية وتنظيم على نحو لم يسبق له مثيل. هل لك أن تحدثنا عن ذلك؟

إن من أكثر خصائص العصر الحاضر التي تبعث على الأسى، وفي الوقت نفسه، تبعث على التفاؤل هو حقيقة أن العولمة حتى هذه اللحظة كانت عولمة لرذائلنا. لقد عولمنا الجريمة، وعولمنا الدعارة، وعولمنا تجارة المخدرات، وتجارة السلاح. الإرهاب نفسه هو نوع من أنواع الفوضى المفروضة على الأمم. لقد عولمنا الرأسمالية، والوظائف، والاستثمارات المالية، بطريقة أعادت خلق الظروف الرأسمالية الاستغلالية الضارية التي كانت سائدة في أمريكا في القرن التاسع عشر. ولكن بقي أمامنا عولمة الديمقراطية، والمواطنة، والثقافة المدنية، وكل الأشياء التي لطفت وشذبت وهذبت ونظمت الرأسمالية، وجعلتها عنصرا من عناصر الديمقراطية في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية. ومن الأشياء الإيجابية هو أننا نعيش في مرحلة بدأنا نشاهد فيها العولمة ليس فقط من منظور معسكرين هما الإرهاب من جهة والرأسمالية في الجهة المقابلة، بل بدأنا نشاهد بوادر العولمة في المواطنة، عولمة المجتمع المدني، وعولمة المؤسسات المدنية. وهناك مؤسسة تسمي نفسها (سيفكس) تشكل مظلة تضم مجموعة من المنظمات غير الحكومية كمنظمة أطباء بلا حدود، والسلام الأخضر، وهيومان رايتس ووتش (منظمة مراقبة حقوق الإنسان)، و ترانسبيرنسي إنترناشونال (الشفافية الدولية). ويسعى هؤلاء جميعاً إلى التعاون المستمر ليس بين الحكومات، بل بين المواطنين في الدول المختلفة، وليس ضمن المؤسسات الحكومية، بل ضمن المؤسسات المدنية.

ويحمل هذا التوجه في طياته أملاً كبيراً من وجهة نظري، ولهذا السبب أقول بأن الديمقراطية الوقائية، وليس الحرب الوقائية، هي التي ستنقذ أمريكا على المدى البعيد، من الإرهاب وتجعل من العالم مكاناً أكثر أماناً لسكانه

ولأمـريكا. لا يمكن للطفل الأمـريكي أن ينام بأمـان مـا لم يرقـد أطفـال دمـشق، وبكين، ومـاليـزيا، وإفريقيـة بأمان. والحـرية اليـوم هـي شـيء واحـد بالنسبـة للعـالم كله. ولا يمكن للأمريكان أن يكونوا أحـراراً طالما أن بقية شعوب العالم مستعبدة. لذلك فإن العالمية والرأي العـام العالمي، والاعتماد المتبادل ليست أحلاماً طوبائية، بل هـي متطلبـات الواقـعية. والواقـعيـون اليـوم هـم الذين يؤمنون بالتـعـاون الدولـي، أمـا الطوبائيون فـهم الأشـخـاص القـابعـون فـي البـيت الأبيض اليـوم والذين يفكرون أن بإمكان أمـة واحـدة أن توجـد سـلامـاً أمـريكيـاً شـامـلاً، وتحكم العـالم بإرادتها السـيـادية. لقـد ولـى عـصـر الاسـتـقـلال وعـصـر السـيـادة؛ إننـا نعـيش فـي عـصـر الاعـتـمـاد المتـبـادل بين الدول، وعنـدمـا نقـبل بهـذا التـعـاون ونضـعـه فـي قـالب ديمقراطي، فسوف نعيش في عالم آمن وحر لأمريكا ولبقية العالم.

ست جالي: ما هو ردّك على الأشخاص الذي قد لا يتفقون مع سياسات الرئيس ولكنهم مع ذلك يعتقدون أن الانتخابات، وسياسة الانتخابات بشكل عام، ليست ذات علاقة، وأنه لا يهم الطرف الذي ينجح لأن الكل سواء. ما مدى الأهمية المعلقة على انتخابات نوفمبر 2004؟

في كل مـوسم انتـخـابي نواجـه عـدة تسـاؤلات حـول مـا إذا كـانت هذه الانتـخـابات تهم فعـلاً أم لا، وهل من الضـروري أن نتـوجه إلى صناديق الاقـتـراع والتصـويت، وهل هنـاك أي فـرق بين الخيـارات المعروضـة أمـامنـا. والجـواب: نعـم هنـاك فـروق أسـاسـية، وإذا لم يكن هنـاك فـرق فـي السيـاسـة، فعلى الأقل سيـكون هنـاك فـرق فـي التـعيينـات القـضـائيـة؛ وإن لم تكن في هذه ففـي سيـاسـات البيـئة؛ وإن لم تكن فـي السيـاسـات البيئية ففـي المواقـف السيـاسيـة الخارجية. وطبعـاً هذه الانتـخـابات مهمة وذات عـلاقة، ومهـمة بطرق قد لا تكون ظاهرة لنا اليـوم، ولكنها ستظهر غـداً. لقد رأينا من كان يعتقد في الانتخابات الفـائتة أنه لا يهم من ينجح فـي تلك الانتـخـابات لأنه لا يكاد أن يوجـد فـرق جـوهري بين الخـيـارين. إلا أن

التعيينات التي يقوم بها الرئيس، ولا يقتصر الأمر على التعيينات في المحكمة العليا، بل في المحاكم الفدرالية، والتي قد تصل إلى عدة آلاف على مدى الأربع أو الثماني سنوات التي يقضيها في الحكم. هذه كلها على قدر كبير من الأهمية والتأثير. كما أن الجهود المبذولة في مجال حماية البيئة ومنع تعرضها لمزيد من الأخطار، وهي مخاطر ستدفع ثمنها الأجيال القادمة لأن القرارات التي تتخذ اليوم لا يمكن عكسها بعد عشر أو عشرين سنة من حصول الضرر. لذلك أقول لهم إن هذه الانتخابات مهمة ومؤثرة إلى حد كبير. ولا يهم من هو الشخص الذي تصوت له، ولكنك إذا قلت بأن المشاركة الانتخابية ليست مهمة، ولم تشارك بالتصويت فإنك تكون قد تنازلت عن حريتك.

ولدي رسالة أخرى حول هذا الموضوع أود طرحها هنا. إننا قلقون حول قادتنا وحول من سيقطن البيت الأبيض، أو من سيعيّن في المحكمة العليا، أو من سيذهب إلى الكونغرس. كل هذه الأمور على درجة عالية من الأهمية، إلا أن المواطنة لا تنحصر فقط بالتصويت. ويوجد لدينا نزعة في هذا البلد نحو التفكير بأن التصويت يتعلق بالقيادة، وفي كل بضع سنوات، سواء تعلق الأمر بالبيت الأبيض أم بالكونغرس، نسائل أنفسنا:"ترى، أين هذا الفارس الذي سيأتي على حصانه الأبيض كي يخلصنا من آخر معتوه انتخبناه"، وهذا له صلة بمتلازمة الحصان الأبيض، الفكرة القائلة بأن الديمقراطية ليست سوى التصويت للقيادة ثم ترك الأمر لهؤلاء القادة في توجيه وحكم البلاد. الديمقراطية هي الحكم الذاتي، وهي المواطنة المتفاعلة. ولا تقاس الديمقراطية في نهاية الأمر بنوع القادة الذين تفرزهم، بل بنوع المواطنين الذين يمارسونها. وهناك أعداد كبيرة من الأمريكان الذين لا يبرحون أماكنهم ويكتفون بالتكهن حول من سيفوز في الانتخابات ويذهب إلى واشنطن، دون أن يفكروا بمسؤولياتهم ومشاركتهم على المستوى المحلي والوطني والعالمي. ثم يأتون إليك ليقولوا:"ماذا بوسعنا أن نفعل؟".

إن شخصاً واحداً مثل جودي ويليامز التي كانت وراء وضع معاهدة حظر الألغام الأرضية، يُظهر لنا ما يمكن لفرد واحد أن ينجزه. وكل شخص ناشط في المنظمات غير الحكومية (NGO) يظهر لنا قيمة مساهمة الفرد الواحد. وقد أظهر الأشخاص العاملون في مجال الحقوق المدنية أن بإمكان المواطنين فعل الكثير. إن دور المواطن الواحد يستمر مدى حياته، وليس لمدة سنتين أو أربع. فلديك العمر كله لممارسة حقك والقيام بمهمتك.

من الممكن لأمريكا أن تكون مكاناً أفضل لو وجّهنا معظم تركيزنا على مسؤولياتنا، وعلى حاجتنا إلى المساهمة في كافة مجالات العمليات المدنية والسياسية، بدلاً من التركيز على من سيكون الحاكم أو الرئيس المقبل. إن تحملنا مسؤولياتنا سيضع ضغطاً أقل على حكامنا. لذلك أقول نعم، يجب أن نشارك بالتصويت، وعلينا أن نختار، ولكن ذلك ليس هو الخطوة الأخيرة والوحيدة. إنها الخطوة الأولى نحو المواطنة. والمواطنة تعني أن نحكم أنفسنا على أسس عادية وأن لا تقتصر مشاركتنا على العمل السياسي وحسب، بل والعمل المدني في كل الأوقات. وهناك أمور كثيرة تتعلق بالسياسة برغم أننا قد لا نراها سياسية.

ست جالي: أود أن أختم بالسؤال عن ردة فعلك الشخصية على هجمات 11 سبتمبر كما كانت تحدث. ماذا يعني هذا الحدث بالنسبة لك؟ وعن رأيك بالشعار الذي يردده بوش منذ ذلك التاريخ بأنه لن ينسى 11 سبتمبر؟

لم تختلف ردة فعلي على أحداث 11 سبتمبر عن ردة فعل جورج بوش ومعظم الأمريكان، وربما معظم الناس حول العالم، وهي أن 11 سبتمبر كان حدثاً قوياً يصعب على المرء نسيانه. ولا أعتقد أن أي شخص رأى ما حدث سواء عبر التلفاز أو كان من سكان مدينة نيويورك سينسى ما شاهده في ذلك اليوم، لأن ذلك الحدث كان من أكثر الأحداث الحاسمة في وقتنا الحاضر. كنت في

واشنطن في ذلك اليوم. وكانت أسرتي في مانهاتن. وكنت على بعد نصف ميل من مبنى البنتاغون وكانت أسرتي على بعد ميل واحد من مركز البرج. لذلك فقد عايشنا الحدث، وتحدثنا برهة عبر الهاتف إلى أن انقطعت خطوط الاتصالات. واستطعت العودة إلى نيويورك مساء ذلك اليوم عن طريق القطار. كانت محطة (بن) مغلقة، ولكن كان هناك قطار واحد يجلب الشرطة وأفراد الاحتياط إلى نيويورك واستطعت أن أسافر فيه وأشاهد عن قرب محطة (بن) وهي مغلقة ومقفلة. مشيت إلى منزلي لرؤية زوجتي وابنتي في حوالي الساعة الحادية عشر ليلاً، وفي الطريق من نيوجيرسي في الجهة المقابلة استطعت مشاهدة الدخان والوهج الذي ما زال يتصاعد من المكان الذي كان يضم مركز التجارة العالمي.

أنا من مواليد نيويورك، لذلك فإن ما حدث كان له تأثير شخصي قوي في نفسي. نعم، سأتذكر، كما تذكر الرئيس. وأعتقد أن السؤال الذي يهمنا جميعاً هو ماذا نتذكر وماذا نفعل بهذه الذكرى؟ ما هي العبرة؟ ما الذي يكشفه لنا هذا الحادث الجلل؟ ماذا نتعلم منه؟ بالنسبة للرئيس، علمته هذه الأحداث درس محور الشر. علمته أن لأمريكا أعداءً خطرين يعملون في السر، ويجب القضاء عليهم، وأنه لا يمكننا أن نكون ضعافاً أبداً؛ وأنه يجب أن نستعرض عضلاتنا وقوتنا في كل مناسبة. إنه درس السلام الأمريكي الشامل: فإذا كانت السيادة لا يمكنها أن تحمينا، فإن علينا أن نوسع هذه السيادة حول العالم من أجل تحقيق السلام الأمريكي. هذا نوع واحد من الدروس. وهو درس يقوم على سياسات الخوف. سياسات الانفراد والعزلة. إنها سياسات تغلق الحدود الأمريكية وترفع الأسوار حول أمريكا. وأخشى ما أخشاه أن هذا هو الدرس الذي تلقنه معظم الشعب الأمريكي، واستقاه الرئيس بوش بكل تأكيد: جهزوا العربات، ارفعوا الأسوار، واستعدوا لملاقاة الأشرار أينما وجدوا. أرسلوا الجنود إلى أي مكان يوجد فيه الأعداء ودمروهم.

ولكن هناك درس آخر. وبالطبع كان أول ردة فعل لي على 11 سبتمبر هو الخوف، والغضب، والغيظ والثار. وطبعاً أردت أن نتعقب المسئولين عن هذه الفعلة والاقتصاص منهم وأعتقد أننا جميعاً كان لدينا هذا الشعور. إلا أن ردة فعلي الثانية والتي استقرت في نفسي هي أنني تساءلت في نفسي: يا إلهي، إن هذا العالم عالم صغير. إن ما يحدث في كراتشي وفي دمشق والكونغو ونيجيريا ينعكس على ما يحدث هنا. فالغابات التي تحترق في البرازيل، والغابات الاستوائية التي تدمر في إندونيسيا لإقامة مراكز تسوق مكانها، تؤثر على نوعية الهواء الذي نتنفسه هنا. والأمراض التي تنتشر في هونغ كونغ وإفريقية، الإيدز وسارز، تأتي إلى أمريكا. إنني أذهب إلى منزلي الصيفي في ولاية ماسيتشيوستس ولا ينتابني القلق من فيروس ماسيتشيوستس بل من فيروس غرب النيل. إننا نعيش في عالم متشابك ومترابط بعضه ببعض.

ودرس 11 سبتمبر الذي تعلمته هو التعاون الإلزامي. يجب علينا أن نبحث عن وسائل وطرق للتعامل مع الإرهاب وإلا فسوف يبتلعنا جميعاً. علينا أن نبحث عن طرق تمكننا من العيش معاً وإلا فسوف نموت معاً. علينا أن نبحث عن طرق تجعلنا جميعاً أحراراً وإلا فلن يكون أحد منا حراً. هذا هو الدرس والعبرة الدائمة من 11 سبتمبر. وإذا تعلمنا هذا الدرس واستبقيناه معنا فقد يكون، رغم كل الفظائع والآلام التي صاحبت تلك الكارثة، درساً مفيداً، درساً يدفع بأمريكا إلى احتضان العالم في علاقة تعاونية تبادلية لتكون شريكاً لهذا العالم وجزءاً منه، بدلاً من أن تقول للعالم:" كونوا معنا وإلا،" وهو ما قاله الرئيس بوش. لقد آن الأوان لنقول فيه "الآن هي اللحظة التي ينبغي على أمريكا أن تنضم فيها إلى العالم."

نيويورك ستي

6 **نوفمبر**، 2003

obeikandl.com